الثعبانُ و الشحرور

الجمعة 16 يناير 2015 12:01 م

بقلم : محمد منصور
لشد ما تريحني كلماتُ الله الحلوة، و تبعث في قلبي قدرا كبيرا من الطمأنينة و الأمل
بسم الله الرحمن الرحيم
(و لا تَحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون؛ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار؛ مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم و أفئدتهم هواء). إبراهيم /42
و لا نملك بعدها إلا الضحك من هذا السيسي؛ الذي يهرف بالكلمات؛ و ما علم أنه مكشوف و مكره مكشوف لعلم الله؛ يحسب أن الدنيا قد ألقت إليه مقاليد الأماني و أن الدهر قد حكمه فيه و نزل علي حكمه، و ما علم أن نشوة النصر التي ينعم بها ما هي إلا وهْمٌ كبير، و أن عساكره و كلابه و رؤساءه لن يحصنوه أبداً ضد الفشل و الخيبة و الهزيمة في الدنيا و الآخرة
وما النياشين التي على صدره إلا وصمة عار؛ لأن ثمنها قذر؛ فهي مصدر للخزي و العار، و ليست رمزا للنصر و الفخر، بل هي الخيانة و الغدر و الانحراف بأبشع معانيهم، و نذالة لا يغسل البحر أوضارها و لا يطهر الأرض من عارها
و يا ليتك تعلم ـ يا هذا ـ أنها لو دامت لغيرك لما وصلت إليك ؟؟؟، ألا تذكر أنك لست أقوى ممن خلقك يا وضيع ؟؟؟؟؟؟ و أنك من سنين كنت طفلا تبول على نفسك و تحبو على الأرض كجرو حقير
و لكنك ما زلت سادراً في أحلامك؛ تتبنى فلسفة الثعبان المقدس التي تحدث بها إلى الشحرور في قصيدة الشاعر أبي القاسم الشابي، حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه؛ فسماه تضحية و جعله السبيل الوحيد للخلود المقدس فقال :
ورآه ثعـبانُ الجبـال , فغَمّــه *** مـا فيه مـن مرحٍ , وفيـض شبابِ
وانقـضّ ,مضطغنـاً ,كـأنـــه *** سـوطُ القـضاء ولَعنـةُ الأربـابِ

بُغتَ الشقيُّ فصاح في هول القضا *** متـلـفتـاً للصائـل المنتـــابِ
وتَـدَفَّقَ المسكيـنُ يصرخُ ثائـراً: *** مـاذا جنيـتُ أنـا فحـقَ عقابي !
لا شـيء، إلا أننـي متـغــزلٌ *** بالكـائنات مغـردٌ فـي غابـــي
ألقى من الدنيـا حنانـا طاهــرا *** وأبثهــا نجـوى المحب الصـابي
أيعـد هـذا في الوجود جريمـةً؟ *** أيـن العدالــة يـا رفـاق شبابـي ؟

فتبسم الثعبـان بسـمة هـازيء *** وأجـاب في سـمت ,وفـرط كـذابِ:
يا أيها الغِـر المثرثر، إننـي *** أرثـــى لثـــورة جهلـــك الثـــلابِ
والغرُّ يعـذره الحكيم إذا طغى *** جهـلُ الصِّبـا في قلـــبه الوثـــابِ
فـاكبح عواطفك الجوامحَ ،إنهـا *** شـردتْ بلُبِّكَ ، واستمـــع لخطـــابي
إنـي إلـهٌ، طالما عبد الورى *** ظلّـي، وخـافـوا لعـنتـي وعـقـابي
وتقـدَّمـوا لى بالضحايا منهمُ *** فَـرِحـيـن ،شـــأن العـابـد الأواب
وسـعادةُ النفسِ التقـيَّـة أنَّهـا *** يـومـاً تـكـون ضحـيـة الأربـاب
فتصير في روح الألوهة بضعة *** قُـدُسِيّـة ،خـلـصـت مـن الأوشـاب
أفـلا يسرك أن تكون ضحيتي *** فتحـلُ فـي لحمـي وفـي أعصـابي
وتكون عزماً في دمي ،وتوهجاً *** فـي نـاظـريَّ ،وحـدةً فـي نابـي
وتذوب في روحي التي لا تنتهي *** وتصيـرَ بعـضَ ألوهتـي وشبـابـي
إني أردتُ لك الخلـود مؤلهـاً *** في روحـي الباقـي علـى الأحقـــاب
فكّـرْ، لتـــدرك مـا أريـــد، وإنه *** أسمـى من العيـش القصير النابـي

هكذا بشَّر الثعبانُ الشحرور، والآن حان دورنا لنبشر الثعبانَ الانقلابي، أَبْشِرْ؛ فإن الخناق قد ضاق عليك و حبال المشانق منصوبة بين يديك؛

تداعبها رياح الحرية تتأرجح في الهواء
و أبشر ثانيةً؛ إذ لا نهاب و لا نبالي؛ لأننا ندافع عن قضية عادلة، و لنا مبادئ تظلنا بظلها الحنون في أوقات الهجير الحارقة؛ فلا نفر؛ لأن الفرار لا يدفع أمر الله و لا يطيل العمر، وهذه قيمة باقية تنقض دوافع نقض العهد مع الله، و كيف ننقضه أو نهن أو نحزن و معنا الله، و نحن نسمع كل يوم 30 مرة هذا النداء العلوي المقدس، هذا النشيد العلوي : الله أكبر
و يا شعبي الحبيب إن الأمر جد؛ قد مضى زمن المزاح، و اعلموا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، و (أن النصر فوق الرؤوس، ينتظر كلمة " كُنْ " فيكون؛ فلا تنشغلوا بموعد النصر و إنما انشغلوا بموقعكم بين الحق و الباطل).